خطر البعوضة

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ البقرة: ٢٦.

الدلالة العلمية:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البقرة: ٢٦؛ بيان بأهمية البعوضة وخطرها على الإنسان؛ وإن استهان بها واستحقرها لضآلتها، وفيه تصريح بوجود ما هو أكثر منها ضآلة ويشاركها الخطر، وكَشْف ما يُمكن أن تسببه البعوضة الأنثى من أمراض، والإعلان قبل اكتشاف المجهر في القرن السابع عشر عن المعرفة بالكائنات الدقيقة كالميكروبات والفطريات والفيروسات، وهذه المعرفة لم ترد في أي كتاب يُنسب للوحي سوى القرآن الكريم.

التوافق مع العلوم الحديثة:

ضَرْب المَثَل بالبعوضة Mosquito هو من جملة المتحدى به مما يحمل علمًا لا يدرك أغواره أحد زمن تنزيله؛ ببيان أنها ذات أثر خطير في حياة المخاطبين، وقد جاءت الكشوف العلمية في عالم الأحياء مؤيدةً لعناية القرآن بالبعوضة لأهميتها في حياة البشر رغم ضآلتها، وهذا مثل صارخ لتسامي القرآن الكريم عن النظرة النسبية في الحكم على الأشياء، وتنزُّهه عن التصورات المغلوطة الشائعة، وفي بيئة التنزيل لم يُعرف عن البعوضة سوى أنها غير ذات شأن؛ من جملة ما يستحيى من ذكره في المسائل العظام، ولا يجب أن تلقى أي عناية أو اهتمام، وبلغت اعتبارها غاية المثل في الضآلة والاستحقار، وكشف القرآن خطر البعوضة؛ وإن لم يدركه المخاطبون، وأنها ليست نهاية الضآلة كما يتصورون؛ فهناك عوالم خفية من الكائنات تفوقها ضآلة وتماثلها خطورة؛ وذلك قبل اكتشاف المجهر والمعرفة بالأمراض التي تسببها البعوضة وعوالم أدق من الكائنات الحية الغير المرئية، وهكذا تجاوز القرآن الكريم الأفق الأعلى لمعارف المخاطبين ورَفَعَ أستار المجهول زمن التنزيل، قال الرازي (رحمهم الله تعالى جميعا): "أراد بما فوقها في الصغر أي بما هو أصغر منها، والمحققون مالوا إلى هذا القول؛ لأن الغرض هاهنا بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير، وفي مثل هذا الموضع يجب أن يكون المذكور ثانياً أشد حقارة من الأول..، والشيء كلما كان أصغر كان الاطلاع على أسراره أصعب، فإذا كان في نهاية الصغر لم يُحِط به إلا علم الله تعالى، فكان التمثيل به أقوى في الدلالة على كمال الحكمة من التمثيل بالشيء الكبير..، وإذا قيل هذا فوق ذلك في الصغر وجب أن يكون أكثر صِغَرًا منه"، وقال الماوردي: "(فما فوقها) في الصغر لأن الغرض المقصود هو الصغر"، وقال الألوسي: "والزيادة في المعنى الذي وقع التمثيل فيه هو الصغر والحقارة، فهو تنزل من الحقير للأحقر"، وقال السعدي: "المعنى الذي ضربت فيه مثلاً هو القلة والحقارة..، ولا يقال كيف يُضْرَب المثل بما دون البعوضة؛ وهي النهاية في الصغر؟، لأن التعقيب على الآية: (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم).. يجعلهم يَتَفَكَّرُون فِيها، فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل ازداد بذلك علمهم وإيمانهم؛ وإلا علموا أنها حق، وما اشتملت عليه حق؛ وإن خفي عليهم وجه الحق فيها لعلمهم بأن الله لم يضربها عبثاً بل لحكمة بالغة"، ويقرر نووي الجاوي في تفسيره (مراح لبيد) أن نبأ ما دون البعوضة: "لا يسوغ إنكاره لأنه ليس عبثاً؛ بل هو مشتمل على أسرار".

ولا يعدل القرآن في حديثه عن الحق، ولا يخالف في بيانه الواقع؛ فيعبر بالجمع عند الحديث عن الذباب والفراش والجراد لأن العلامات الموصوفة تشمل الذكر والأنثى، ولكنه يعدل في حديثه عن البعوض إلى اللفظ المفرد المؤنث لفظًا "بعوضة"، والعجيب أن البعوضة الأنثى هي بالفعل التي تتغذى على الدماء وتنقل الأمراض؛ أما الذكر فهو أكبر حجماً ويتغذى على رحيق الأزهار فقط، فناسب الاشتقاق أن البعوضة هي الأقل حجماً والأخطر شأناً، وهذه معارف علمية ضمنية عرفناها حديثًا، فلم يعرف دور البعوضة في نقل طفيل الملاريا مثلاً إلا قبيل بداية القرن العشرين، فقد تمكَّن الفونس لافيران من معرفة الطفيل المسبب للملاريا عام ١٨٨٠، وفي عام ١٨٩٧ اكتشف سير رونالدز روز انتقال الطفيل عن طريق البعوضة، وفي عام ١٨٩٨ تمكَّن فريق من الباحثين من تأكيد دور البعوضة في نقل المرض، وكلمة "ملاريا" إيطالية الأصل وتعني الهواء الفاسد، وقد بقيت مستخدمة حاليا كمصطلح تاريخي يعكس الاعتقاد الخاطئ بأن المرض ينتقل للإنسان عن طريق الهواء الفاسد؛ وذلك قبل أن يُعرف دور البعوضة في نقل الطفيليات المجهرية التي تسببه، وسبب وباء الحمى الصفراء لم يكن معروفا قبيل بداية القرن العشرين، وفي عام ١٨٨١ افترض كارلوس فينلاي أن الناقل هو البعوض، وهو ما أكده ميجور والتر عام ١٩٠٠ وأثبته ويليام جورجاس في القرن العشرين، وبالتخلص من البعوض أثناء شق قناة بَنَمَا تراجع المرض، وفي نفس الفترة اكتشف باتريك مانسون طفيل الفلاريا الذي يسبب داء الفيل، وعرف أن الناقل له هو البعوض، وقد تأكد حديثًا أن البعوضة هي بالفعل أخطر القتلة للإنسان من الحشرات جميعا حيث تسبب سنويًا أكثر الوفيات في العالم.

Related References:

1. Ralph Harbach (November 2, 2008). "Family Culicidae Meigen, 1818". Mosquito Taxonomic Inventory.
2. "Mosquito's Life Cycle". Westchester County Department of Health. April 10, 2010.
3. Molavi, Afshin (June 12, 2003). "Africa's Malaria Death Toll Still "Outrageously High"". National Geographic. July 27, 2007.
4. "Mosquito-Borne Diseases". The American Mosquito Control Association. October 14, 2008.
5. "Mosquito". Virginia Tech. May 19, 2007.
6. a b Harzsch, S.; Hafner, G. (2006). "Evolution of eye development in arthropods: Phylogenetic aspects". Arthropod Structure and Development 35 (4): 319–340.
7. Kaufmann C, Briegel H (June 2004). "Flight performance of the malaria vectors Anopheles gambiae and Anopheles atroparvus" (PDF). J. Vector Ecol. 29 (1): 140–53. June 21, 2009.
8. R. G. Estrada-Franco & G. B. Craig (1995). Biology, disease relationship and control of Aedes albopictus. Technical Paper No. 42. Washington, D.C.: Pan American Health Organization.
9. Wayne J. Crans (1989). "Resting boxes as mosquito surveillance tools". Proceedings of the Eighty-Second Annual Meeting of the New Jersey Mosquito Control Association. pp. 53–57.
10. C. Jones & E. Schreiber (1994). "The carnivores, Toxorhynchites". Wing Beats 5 (4): 4.